دور القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربية

أ.د. خديجة زبار الحمداني، أ.م.د. محمد ضياء الدين خليل إبراهيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والأخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. أمّا بعد:

فإنّ من نعم الله عزّ وجلّ التي لا تحصى على الأمم أن أرسل لكل أمة رسولاً بلسانها كما قال تعالى: ((وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم))(إبراهيم:٤)،وأنزلَ عليها الكتاب بلسانها ليفهموا كتابه ويتدبروه، فيؤمنوا به ويصدقوه، فيفعلوا ما يؤمرون به، وينتهوا عمّا نهوا عنه، فيجازيهم بذلك، ولو كان بغير لغتهم لاحتاجوا إلى ترجمان ليبين لهم.

وكتاب الله عزّوجلّ الذي هو مرشدنا ودليلنا، والذي وجبت علينا تلاوته وتدارس معانيه، قد نزل بلسان عربي مبين، قال سبحانه وتعالى: ((إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))(يوسف:٢)،وقال تعالى: ((نزلَ به الروحُ الأمينُ، على قلبكَ لتكونَ من المنذرينَ، بلسانٍ عربي مبين)) (الشعراء :١٩٤ـ١٩٥)، فكلما حرصنا على دراسة هذه اللغة، وزدنا تعمقاً في فهمها، كلما زدنا تعمقاً في فهم كتاب الله عزّ وجلّ الذي يعد له الفضل الكبير على هذه اللغة، وأيضاً فإنّ اللغة العربية هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين.

وبالهدي القرآني بنى المسلمون حضارتهم الشامخة، التي إمتدّ نفعها إلى البشرية قاطبة، وبه تجسد كيانهم بين الأمم، فهو سداد حياتهم، وشهود حضارتهم، وقوة شوكتهم، وإليه مفزعهم في الملمات كلها. فأقبلت الأمّة على كتاب ربّها، وأكبّت عليه حفظًا، ودرساً، وفهماً لمعانيه، وتقيُّدًا بأحكامه، وميزًا لألفاظه ومبانيه، ومعرفة لطرائق رسمه، وإسناد قراءاته، وكان لعلماء العربيّة اليدُ الطولى في خدمة القرآن، في ميادين متنوّعة، في رسمه وضبطه، ومعانيه وقراءاته، وأبنيته وألفاظه، وبلاغته وإعجازه، بل لا نبالغُ إذا قلنا: إنّ علوم العربية لولا القرآن ما كانت، ولا كان للعربية شأن، ولبقيت محصورةً في صحرائها القاحلة، ولولا الإسلام والقرآن لم تحَظ اللُّغةُ العربيَّةُ بما حظيَتْ به من خدمة، بتدوين علومها، وتبويب مسائلها، وتتابع أجيالٍ فأجيالٍ على النظر فيها جمعًا، وتأليفًا، وتقعيدًا، وبحثًا عن أوجه جمالها، وإعجاز قرآنها، وتمجيدًا لها وتعظيمًا، ليس من أبنائها ذوي الأعراق العربيّة ، وإنما من أبنائها ذوي الأصول الأعجمية، ممّن كانت لغتهم الأمَّ أو الأولى غير العربيّة؛ إذ من المعروف أن عددًا غير قليل من أبناء الشعوب الإسلامية انتحلوا العربيّة، فصارت لغتهم ولسانهم، وتناسوا بل هجروا لغتهم الأمُ ، وكتبوا في تمجيد العربية ، وبيان فضلها ، والتعصُّب لها ما لم يكتبه قلمٌ من صليبيةٍ عربيَّةٍ.

ثم إنّ قرآءة التاريخ قراءة تاريخية يشهد بأنّ هنالك لغات كانت في القديم مصاحبة للغة العربية كانت تعيش جنباً إلى جنب مع اللغة العربية، كاللغة الفينيقية لغة أهل لبنان قديماً، واللغة الآشورية لغة أهل بابل، واللغة الهيروغليفية لغة أهل مصر قديماً، أين هذه اللغات؟ ماتت واندثرت بموت أهلها، وعلى مستوى العالم هنالك لغات ارتبطت بكتب مقدّسة غير القرآن الكريم انحسر وجودها بضعف أهلها وصارت داخل جدران المعابد وعلى جدران المعابد فقط. اختفت فلم تعد في الحياة على ألسنة الناس وبقي القرآن الكريم ولغة القرآن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان؛ لأنّها نالت من بركات هذا الكتاب، وقد سجّل الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم قصة الخلود وسبب هذا الخلود الذي لا يمكن بحال أن نُرجع خلود اللغة العربية إلى العرب؛ لأنّ العرب خلال القرون وخلال التاريخ مروا بفترات ضعف وفترات تراجع واللغة بأهلها قوة وضعفاً، فالدول والأمم الضعيفة لغاتها ضعيفة، والأمم القوية لغاتها قوية، فاللغة ترتبط بأهلها قوة وضعفاً، فالعرب مروا بفترات من الضعف والهوان فبقاء اللغة العربية بهذا الخلود وهذا الاستمرار وهذا الاستقرار لا يعود إلى العرب بحال من الأحوال ولكن

يعود كما بيّن ربنا سبحانه وتعالى في قوله تعالى:((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))(الحجر:٩).

فقد كانت آثار القرآن الكريم على اللغة العربية ظاهرة، ويمكن ملاحظتها في جوانب كثيرة فقد أنقذ القرآن الكريم العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة، وعمل على تقارب اللهجات وألسنة أهلها بالنطق بأفصح لهجات العربية. لقد أنزل الله عزّ وجلّ القرآن الكريم بلهجة قريش وراعى أهم الفوارق اللغوية بين اللهجات العربية فأنزل القرآن على سبعة أحرف. وقد هذّبَ القرآن الكريم اللغة العربية من غريب الألفاظ والعبارات، فأحالها إلى لغة صافية شفافة جذابة وانتهج القرآن الكريم أسلوباً زاهياً أنيقاً جزلاً له حلاوة وعليه طلاوة. كما أنّ القرآن الكريم أدخل على لغة العرب معانٍ جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون التعبير عنها.

فلذا أردنا في بحثنا هذا أن نقف عند القرآن الكريم ودوره في المحافظة على اللغة العربية من الضياع والتشتت، وبيان أهم المواطن التي ظهر فيها هذا الدور، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان:((مكانة اللغة العربية وأهميتها))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مكانة اللغة العربية، وأبرز سماتها، وعالمية اللغة العربية .

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان:((القرآن الكريم))، مفاهيم ودلالات، وقد تضمن هذا المبحث تعريف القرآن الكريم، وبيان مكانته في الدرس اللغوي والنحوي.

والمبحث الثالث: وقد جاء بعنوان:((القرآن الكريم وأثره على اللغة العربية))،وقد تناولنا في هذا المبحث أثر القرآن الكريم ودوره في المحافظة على اللغة العربية من الضياع والاندثار.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهجين الوصفي والاستنباطي أساساً في معالجة موضوع الدراسة، فاعتمد المنهج الوصفي في بيان مكانة اللغة العربية ومفهوم القرآن الكريم، كما اعتمد المنهج الاستنباطي التحليلي لمعرفة آثار القرآن الكريم ودروه في المحافظة على سلامة اللغة العربية.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

المبحث الأول
((مكانة اللغة العربية وأهميتها))

أولاً : مكانة اللغة العربية :

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للبشر عامةً شاملةً، لم تخص بنور هدايتها أمة من دون أخرى، ولا دعت شعباً من دون آخر، ولا كانت لإقليم من دون غيره، فليست مقيدة في موطن، ولا محصورة في بلد، وإنَّما وطنها الكرة الأرضية بأسرها، وهذا ما يفيده قوله الله تعالى لنبيه:((وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين))(الأنبياء:١٠٧).

والواقع أنَّ هذا العالم الواسع مشتمل على أمم كثيرة، ولغات مختلفة، وقبائل متعددة، وأقاليم متباينة، وبلدان متسعة، وأرجاء شاسعة، لابُدَّ لهؤلاء من لغة تجمع هذا المتفرق، وتقرب هذا المتباعد، وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد، ويؤمنون بعقيدة واحدة، ويصدقون بكتاب واحد، ويتبعون رسولاً واحداً؛ لأنَّ معرفة لغات المسلمين كافة على شخص واحد ليست بالأمر الهين أو الشيء السهل، بل تكاد تكون غير مقدور عليها، نظراً لعمر الإنسان القصير، إذ أنَّه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم إتقان، وإحاطة، وإجادة.

فاختار الشارع لهم لغة واحدة يتعارفون بها ويتفاهمون، هي لغة عاصمة الأمة الإسلامية وهي اللغة العربية، اختارها لِمَا تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة اللتين لا توجدان في غيرها من اللغات(١).

واللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحية في العصر الحاضر، كما كانت قديماً تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة، ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصة بشيء من التقديس والاحترام، وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الإعجاب والإكبار(٢)، وذلك للأسباب الآتية:

١. اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم التي يتعبد بها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً، وقد دون بها المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وهو الحديث الشريف، وبالتالي فإنَّ كل مسلم بحاجة ماسة إلى تعلم هذه اللغة وفهمها، لمعرفة ما ورد في كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم .

واللغة الفصحى هي لغة أمة عظيمة العدد، متعددة الأوطان، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة العالم، فهي لغة

الإسلام، والدين الحنيف الذي يدين به مئات الملايين من البشر في مختلف بقاع العالم وبه تقام شعائر الإسلام في كل بلد، فالأذان يرتفع خمس مرات من المآذن في كل مدينة أو قرية في كل وطن به عدد من المسلمين، والقرآن الكريم يرتل كل يوم بأفواه المقرئين، وتنقله الإذاعة المرئية والمسموعة إلى المسلمين في كل بلد، وفي كل بيت فيه مسلم. ومَن لا يجيد قراءة القرآن الكريم باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل سورة الفاتحة أُمَّ الكتاب وسوراً أخرى من قصار السور في القرآن الكريم، يقيم بها صلاته، ويؤدي بها ما فرض عليه من مشاعر ومناسك، ولذلك فإنَّ تعلمها، وإجادة النطق بها، وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين قبل أن يكون واجباً وطنياً(٣).

٢. اللغة العربية الفصحى لغة عريقة قديمة، وصلت إلينا عبر مسيرة تاريخية طويلة، مرت فيها بالكثير من الأحداث المختلفة، وواكبت الكثير من اللغات واللهجات التي كانت موجودة قبلها، أو متزامنة معها، أو حديثة جاءت بعدها، واستطاعت اللغة العربية الفصحى أن تأخذ طابعها الفريد وشكلها المميز، ومكانتها التاريخية الخاصة بها.

لقد استطاعت هذه اللغة أن تتغلب على الظروف والمحن التي اعترضتْ طريقها منذ أمد بعيد، وهي الآن تؤكد عزيمتها القوية على مجابهة الظروف والتحديات المعاصرة؛ لأنَّها قامت على أساس تاريخي متين، مكّنها من حمل آخر الكتب السماوية المنزلة إلى الثقلين (الإنس والجن)،ألآ وهو القرآن الكريم، الذي يعد أول أسرار بقاء الفصحى على صفحة التاريخ؛ لأنَّ الله تكفّل بحفظها ما دامت لغة كتابه،((إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون))(الحجر:٩).

٣. اللغة العربية لغة حضارية متميزة استطاعت أن تُسَطِّر خلال مسيرتها الكثير من الإنجازات الحضارية، وخير شاهد على ذلك الحضارة العربية الإسلامية(٤)، فلم يمضِ قرن من الزمان على تأسيس الدولة الإسلامية، حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى لغة العلم والفكر، وانتقلت من مرحلة الترجمة، والنقل والتعريب إلى مرحلة التأليف والإبداع في جميع مجالات الفكر والمعرفة، فهي لغة الأدب والفقه إلى جانب لغة الفلسفة وعلم الكلام، وعلوم الأوائل من طب وهندسة وفلك ورياضيات وكيمياء، وتقف مؤلفات الكندي وابن سينا والبيروني والفارابي وابن رشد وابن زهر، وغيرهم من أعلام التراث العربي الإسلامي، شاهداً على قدرة العربية على التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية، ومن ثم الانطلاق إلى الإبداع والتأليف، بل إلى إنتاج العلم، والكشف عن مناهجه المختلفة(٥).

٤. اللغة العالمية هي التي تتجاوز الحدود الإقليمية، وتتعدى نطاق الاهتمام إلى كثير من دول العالم، وهذا شأن اللغة العربية الفصحى التي لم تنطوِ على ذاتها، أو تتقوقع على نفسها في إقليم واحد، أو منطقة واحدة(٦).

ثانياً : سمات اللغة العربية :

تعد اللغة العربية أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بعقيدة الأمة، وهويتها، وشخصيتها، لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً لحضارة أمتها، وازدهارها، وشاهداً على إبداع أبنائها، وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي تسعة قرون(٧).

لذلك اتسمت بسمات متعددة في حروفها، ومفرداتها، وإعرابها، ودقة تعبيرها، وإيجازها، وهذه السمات جعلت أرنست رينان يقول فيها:((من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى، عند أمّة من الرُّحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ورقة معانيها، وحسن نظم مبانيها))(٨).

أمّا الأمريكي (وليم ورل) فيقول:((إنَّ اللغة العربية من اللين، والمرونة، ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى، من اللغات التي احتكت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي))(٩).

ويرى المستشرق الإيطالي (جويدي) :((إنَّ اللغة العربية الشريفة آية للتعبير عن الأفكار، فَحُروفها تميزت بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى، كالضاد والظاء والعين والغين والحاء والطاء والقاف، وبثبات الحروف العربية الأصيلة، وبحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، وبالعلاقة بين الحرف والمعنى الذي يشير إليه، أمَّا مفرداتها

فتميزت بالمعنى، والاتساع، والتكاثر، والتولد، وبمنطقيتها، ودقة تعبيرها، من حيث الدقة في الدلالة والإيجاز، ودقة التعبير عن المعاني))(١٠)، لذلك قال الإيطاليون:((إنَّ لغة العرب تميزت بجمالها، وموسيقاها، والتفاضل بين اللغات يكون في كثرة إنتاجها الأدبي والفكري لا في عدد ألفاظها، والعالم الألماني (فرينباغ) يشير إلى غنى اللغة العربية في قوله:((ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإنَّ اختلافنا عنهم في الزمان، والسجايا، والأخلاق، أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية ، وبين ما ألّفوه حجاباً لا نتبين ما وراءه إلَّا بصعوبة))(١١).

يظهر لنا مِمّا تقدم ذكره تميز اللغة العربية عن اللغات الأخرى، وهذا التميز يكمن في قدرتها الفائقة على الاشتقاق، وتوليد المعاني، والألفاظ، وقدرتها على التعريب، واحتواء الألفاظ من اللغات الأخرى، إلى جانب غزارة صيغها وكثرة أوزانها، وهذه السعة في المفردات والتركيب، أكسبتها السعة والقدرة على التعبير بدقة ووضوح .

ثالثاً : عالمية اللغة العربية :

تحتل اللغة العربية اليوم الموقع الثالث في لغات العالم، من حيث عدد الدول التي تقرها لغة رسمية، والسادس من حيث عدد المتكلمين بها، والثامن من حيث متغير الدخل القومي، في العامل الاقتصادي، وهي متأرجحة من حيث المنزلة في العوامل الأربعة الأخرى:(الثقافي، اللساني، الاقتصادي، العسكري) ،ففي جانب النشر الإجمالي من العامل الثقافي، تحتل عالمياً الرتبة ٢٢، و ٤٢ في النشر العلمي خاصة، وهي إحدى اللغات الست الرسمية في أكبر محفل دولي((منظمة الأمم المتحدة))،وتهيمن على جزء من الإعلام العربي، ولها حضور في النظام التعليمي، وحضور أقل في النظام الإداري والتنظيمي، وبذلك فهي إحدى اللغات الإحدى عشرة الأكثر انتشاراً في العالم (حسب ترتيب المتكلمين بها: الصينية، الانجليزية، الإسبانية، العربية، الهندية، الروسية، البرتغالية، البنغالية، الألمانية، اليابانية، الفرنسية)،كما أنّها من الثماني، من بين هذه اللغات الإحدى عشرة التي تكاد تقتسم المعمورة فيما بينها، وتحتفظ كل منها لنفسها بقاعدة جغرافية واسعة:(الماندرين في آسيا الوسطى، الإسبانية والبرتغالية في أمريكا الجنوبية، الانجليزية في أمريكا الشمالية، العربية في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، الهندية والبنغالية في أغلب القارة الهندية، الروسية في أوربا الشرقية)،كما أنَّها من بين اللغات الست التي يعرف بها الناطقون بها تزايداً ديموغرافياً أكثر من غيرها، وهي حسب الترتيب:(الإسبانية، والبرتغالية، والعربية، والهندية، والسواحلية، والماليزية).

ومما يجدر ذكره أنَّ الحروف العربية تكتب بها كل من اللغات التركية، والفارسية، والماليزية، والأندونسية، وأجزاء كثيرة من الحبشة وجنوب إفريقيا وبلاد الأندلس، والهند والأفغان وبلاد آسيا الوسطى والبلقان(١٢)، وهذا من أكبر الأدلة على عالمية هذه اللغة وبقائها حية نابضة.

وقد أصبحت اللغة العربية، اللغة العالمية الأولى في مختلف العلوم والفنون، في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الثالث الهجري، وإنَّ عالميتها ظهرت واضحة عندما كانت البعثات العلمية في مختلف الأقطار الأوربية تؤم مراكز الإشعاع الثقافي في قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وفارس، وبجاية، وتلمسان، والقيروان، وغيرها من مراكز العلم للدراسة في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية؛ لغة التدريس والبحث، ولغة المصادر العلمية.

لقد بلغت العربية أوج ازدهارها وانتشارها في القرن الرابع الهجري مِمّا حدا بفيكتور بيرار إلى وصفها بأنَّها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة، فهي كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير.

ولو نظرنا إلى مسار عالميتها في قارات العالم القديم، في أوربا، وروسيا، وإفريقيا، نرى أنَّها دخلت إلى أوربا مـن خلال جسور الاتصال، كان أهمها إسبانيا (الأندلس)، وصقلية. ونشأت مراكز مختصة لدراسة اللغة العربية وتعليمها، في مراكز علمية في باريس وأكسفورد، وروما، وقد تركت آثارها الواضحة في مختلف الجوانب اللغوية والحضارية في العالم، حتى العصر الحاضر، فكثير من المصطلحات وجدت طريقها إلى اللغة الانكليزية، وإنّ دخول الأرقام العربية المغربية إلى أوروبا، يعد إسهاماً علمياً أصيلاً في النهضة الأوربية، جاء من خصائصها الذاتية، ومن ترابطها الأبدي بالقرآن الكريم، وحملها الدعوة

الإسلامية إلى شعوب العالم كافة، دون تمييز في الجنس أو اللون أو اللغة(١٣).

المبحث الثاني

القرآن الكريم (مفاهيم ودلالات)

ذكر الكفوي (ت١٠٩٤هـ): أَنَّ((الأُمَّة من السلف مجمعة على أَنَّ القرآن كلام الله تعالى، وهو منتظم من الحروف والأصوات، ومؤلَّف ومجموع من سور وآيات، مقروء بألسنتنا محفوظ في صدورنا، مسطور في مصاحفنا، ملموس بأيدينا، مسموع بآذاننا، منظور بأعيننا)) (١٤).

وقد أجمع النحاة على الرغم من اختلاف مذاهبهم النحوية، على أَنَّ كُلَّ ما ورد من القرآن الكريم، وقُرِئَ به جاز الاستشهاد والاحتجاج به، سواء أكان متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً، ما لم يخالف قياساً معروفاً (١٥).

وقد زخرت كتب النحو قديمها وحديثها بشواهد من القرآن الكريم، بدءاً بكتاب سيبويه الذي يُعدُّ أقدم أَثر نحوي وصل إلينا، فهو كتاب حفل بالشواهد القرآنية،((فقد كان سيبويه من أكثر النحاة تمسكاً بالشاهد القرآني وإجلالاً له، وكان يضعه في المرتبة الأولى، لأنَّه أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل))(١٦). وكذلك كان الفرّاء، إذ صرَّح بأَنَّ ((الكتاب أعرب، وأقوى في الحجة من الشعر)) (١٧).

وقد اتفقت كلمة النحويين على اختلاف مذاهبهم النحوية((على أنَّه الينبوع الصافي، والمعين الذي لا ينضب للشواهد الصحيحة الفصيحة، وقد أطروه بما يستحقه، وقالوا فيه بما هو أهله)) (١٨).

والواضح من المراجعة المتأنية للمظان النحوية أَنَّ النحويين قد أعطوا الأولوية لإثبات القاعدة النحوية للحجة السماعية المستندة للشعر العربي المحدود ضمن القيد الزماني والمكاني الذي وضعوه، وذلك ما لم يرتضِه بعض العلماء القدامى والمحدثين، فمن القدامى الرازي الذي قال:((إذا جوّزنا إثبات اللغة بشعر مجهول منقول عن قائل مجهول، فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم كان ذلك أولى... وكثيراً أرى النحويين يتحرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنَّهم إذا جعلوا ورود ذلك في البيت على وفقه دليلاً على صحته كان أولى)) (١٩).

وأمَّا من المحدثين فقد رأى الدكتور عبد المجيد عابدين أنَّ النحويين لم يسلكوا الطريق الصحيح في سبيل الإفادة من نصوص القرآن الكريم، لأنَّهم((يُمَثِّلُونَ في كثير من المواضيع بالبيت المجهول... ثُمَّ لا نجدهم إلاَّ في القليل النادر يعرجون على نصوص القرآن الكريم... ولو أنَّهم استشهدوا بالقرآن، لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) (٢٠).

وأمَّا الدكتور إبراهيم السامرائي فقد أولى الشاهد القرآني عناية كبيرة، ودعا غير مرة إلى الإفادة من كتاب الله العزيز لبناء القاعدة النحوية السليمة(٢١)، واستغرب من قلة استشهاد النحويين بالقرآن الكريم قياساً على كلام العرب، فقال:((إنَّ الاستشهاد بلغة التنزيل لم يكن بالقَدْر الذي حَفَلَتْ به شواهد النثر من كلام العرب، وكان ينبغي أَنْ يكون الأمر على عكس ذلك)) (٢٢).

والمستنتج مِمَّا تقدم من آراء جنحت إلى إلقاء اللَّوم على النحويين لاستشهادهم بالشعر أكثر من القرآن الكريم، وهذا ما نؤيده إذ إنَّ تفسير القرآن نفسه قد تَمَّ بالشعر على يد ابن عباس(()وهو حَبْرُ الأُمَّة، إذ فَسَّر القرآن بالشعر، فضلاً عن أَنَّ الكمَّ الشعري مِمَّا وصل إلى أيدي النحويين واللغويين كان هائلاً، وأقرب إلى ذهن المتلقي المعتاد على سماعه في أسلوبه المقيد بالوزن والقافية والصياغة على الضد من القرآن الكريم الذي جاء بأسلوب جديد لم تعتده الآذان، ومن هنا جاء التحدي بأَنْ يأتوا بسورة من مثله في المرحلة الأخيرة، بعد أَنْ عجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور مفتريات.

ومع ذلك كله فقد سار الدرس النحوي على منهج واضح بأن تكون الحجة القرآنية مع كونها الأعلى درجة من التأصيل للقاعدة النحوية وإثبات صحتها، إلاَّ أنَّها تسير بشكل أقلَّ من الشاهد الشعري وهما قد غلبا الشاهد النثري لسهولة حفظه وجرسه الموسيقي.

وقد فصلت الدكتورة خديجة الحديثي القول في أهمية الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم وقراءاته عند النحويين، فذكرت((لقد اهتم النحاة الأوائل بكتاب الله العزيز، وكان استشهادهم بآياته واضحاً، كما بين الذين ألفوا في اللغة التي يعتمد عليها وتعد أساساً لبناء قواعد النحو والصرف أنواع هذه اللغة المسموعة، وجعلوا آيات القرآن الكريم أعلاها منزلة وأسماها رتبة، وأفضلها أسلوباً، وأفصحها تعبيراً، ويدل على ذلك عدم تحرج سيبويه

وشيوخه من الاحتجاج بآيات الكتاب العزيز فيما له مثيل من كلام العرب وفيما لامثيل له.

أمّا قراءاته فلتعدد القارئين بها واختلافها وكثرتها فقد بحثوا فيها وميزوا بينها ووضعوا شروطاً لما يحتج به منها، ولما لايجوز الاحتجاج به منها، ولما يجوز الاحتجاج به إلّا أنّه لايقاس عليه))(٢٣).

وقد أعجز الله به العرب الذين ملكوا قدرات بيانية ليست موضع خلاف، وقد أثارت قضية الإعجاز جدلاً كبيراً وكانت وما تزال محوراً من محاور الدرس البلاغي. وأسرَ القرآن الكريم قلوب العرب فرقت أنفسهم((بعد أن أخذت العزة بالإثم منهم كل مأخذ))(٢٤).وشغلهم بعد أن أصبح كتابهم ومحور خصوصيتهم بين الأقوام وأصحاب الديانات الأخرى، وهو فضلاً عن إعجازه قد أثر في العقل الإنساني وبلور التوجه الإجتماعي لدى الإنسان(٢٥).

كما حوى القرآن الكريم العقائد الصحيحة والعبادات والمعاملات الحسنة والأخلاق الكريمة، والآداب العالية والعلوم الرفيعة، وفيه مفتاح لكثير من أسرار الكون الغيبية، وأخبار الأمم السابقة وأخبار الملوك والرسل والأنبياء، وأمور علمية تتعلق بنشأة الكون، وتكوين الجنين....إلخ من القضايا والمسائل العلمية.

ومن هنا نقول: إنّ القرآن الكريم يقف وراء نشأة العلوم الإسلامية وإنه ما من علم إلا ونظر أهله في القرآن وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة(٢٦).

ولا نجد أبلغ من وصف رسوله الله(صلى الله عليه وسلم)له بقوله:((فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، فمن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه))(٢٧).

وإنّ اللغة العربية تبقى مدينة للقرآن الكريم في بقائها حية الى يومنا هذا، إذ لولاه لاندثرت وماتت، كما في اللغات الأخرى، فطريق الخلاص هو الرجوع الى كتاب الله والتمسك به، كما قال ابن مسعود(رضي الله عنه): ((ومن أراد العلم فليثوّر القرآن، فإنّ فيه علم الأولين والآخرين))(٢٨).

المبحث الثالث
القرآن الكريم وأثره على اللغة العربية

ارتبطت اللغة العربية بفضل الله تعالى بكتاب سماوي مقدس هو القرآن الكريم، الذي نزل بلغة عربية سامية، والذي أجمع القدماء، من الفصحاء والبلغاء، بعد طول جدال ونقاش، على وصفه بأنّه ذو حلاوة وطلاوة، وأنّه يعلو ولا يُعلى عليه. وهذا يعني أنّ اللغة العربية، في مسارها التاريخي المتطاول، قد ارتبطت فكرياً ووجدانياً بالأنماط اللغوية الفصيحة التي أرسى قواعدها هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفضلاً عن فقد ارتبط الإنسان المسلم بقرآنه لغة وفكراً ارتباطاً عقدياً لا مجال للبحث فيه هنا، نظراً لكونه أمراً بدهياً(٢٩).

وقد أكدت آيات الذكر الحكيم ذلك فقال عزّ من قائل:((وإنّه لتنزيل ربِّ العالمين، نزلَ بهِ الروحُ الأمينُ، على قلبكَ لتكونَ من المنذرينَ، بلسانٍ عربي مبين)) (الشعراء:١٩٢–١٩٥).ويقول أيضاً:((إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلونَ))(يوسف:٢)،ويقول:((قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتقون)) (الزمر: ٢٨)،ويقول:((كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقوم يعلمونَ))(فصلت: ٣)،وقوله:((إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلونَ)) (الزخرف:٣)، وقوله:((وما أرسلنا من رسول إلّا بلسانِ قومهِ ليبينَ لهم))(إبراهيم:٤).

ومن هذا المنطلق نجد الثعالبي يعبر عن هذه اللغة أبلغ تعبير فيقول:((من أحبّ الله تعالى، أحبّ رسوله محمداً، ومن أحبّ الرسول العربي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية، ومن أحبّ العربية عني بها، وثابر عليها، وصرفَ همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلّا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره)) (٣٠).

ومن المعروف أنّ كل مسلم مطالب

بتلاوة القرآن الكريم، ومعنى هذا أنّ المسلمين كافة في العالم مطالبون بتعلم اللغة العربية، ومن هنا اكتسبت اللغة العربية القداسة النورانية والخلود السرمدي، قال الله تعالى: ((إنّا نحنَ نزلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون)) (الحجر:٩)، فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين، ولولا القرآن الكريم لاندثرت هذه اللغة أوعلى الأقل انزوت وقلّ من يتكلمونها وانهارت أصولها(٣١).

إذ السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء، وليل نهار بقوله تعالى: ((وإن كنتم في ريب مِمّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثلهِ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (سورة البقرة، الآية: ٢٣- ٢٤)، وقوله تعالى: ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) (سورة الإسراء، الآية: ٨٨).

فلمّا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لاجرم أنّ المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، وعدُّوا كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأنّ النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإنّ بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن؛ لأنّ الدفاع عنه–لكونه أصل الدين ومستقى العقيدة– يستتبع الدفاع عنها لأنّها السبيل إلى فهمه، بل لأنّها السبيل إلى الإيمان بأنّ الإسلام دين الله، وأنّ القرآن من عند الله لا من وضع أحد(٣٢).

يقول الأستاذ أحمد حسن الباقوري: ((ولو فرضت أنّه نزل كما نزل غيره من الكتب المقدسة، حكماً وأحكاماً، وأمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، ولم يتحر هذا الأسلوب الذي جاء به، فلم يعن الناس بلفظه ولم ينظروا إليه قولاً فصلاً، وبياناً شافياً، وبلاغة معجزة، لكان من الممكن أن تزول هذه اللغة بعد أن يضعف العنصر الذي يتعصب لها على أنّها لغة قومية، ومن ذلك تضعف هي وتتراجع حتى تعود لغة أثرية. وفي اللغة العبرية ما يؤكد هذا، فإنّها –وهي لغة كتاب مقدس –صارت إلى ذمة التاريخ، ولو أنّ التوراة جاءت كما جاء القرآن فتحدت اليهود على النحو القرآني لاحتفظوا بلغتهم لأنّ في ذلك احتفاظاً بمعجزة نبيهم، فكان ممكناً أن نرى لغة موسى عليه السلام)) (٣٣).

ويظهر هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة عالمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنّا ببعيدة فقد كانت لغة حضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين.

وعلى العكس من ذلك فإنّ اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنّما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إنّ العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحيوية والنشاط، وما ذلك إلّا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت بها واندثرت(٣٤).

وقد كان لنزول القرآن الكريم بلسان عربيٍّ مبين أثرٌ في نهضة اللغة العربية وحِفظِها، تمثل في انتشار اللغة العربية، وانتشار الداعين إلى الله مبشرين بدينه، حاملين كتابه بلسان عربيٍّ مبين، والقضاء على كل اللغات، وأصبحت اللغة العربية لغة عامة رسمية في شتى البلاد والممالك التي فتحها المسلمون، فكان دينها الإسلام، ولغتها القرآن، يقول الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر: ((ولقد بلغ العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة فكان لإظهار الله تعالى القرآن على لسان رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) من الفوائد ما لا يساويه غيره من المعجزات، فإنّه لو اقتصر الأمر على إظهار معجزات مادية على منوال قلب العصا حية أو إحياء الموتى، مِمّا لم يألف العرب جنسه وليس لهم بحاله معرفة ولا بصيرة، لاحتمل أن يتوهموا أنّهم إنّما عجزوا عن مثله لذلك السبب خاصة. فلمّا خصّ الله محمداً بالقرآن أبعدهم عن الوقوع في تلك الشبهة. فالفصاحة دأبهم ومفخرتهم، بها يتبارون ويصولون، فكان القرآن المعجز مِمّا يعلمون مزيته لأول وهلة بيسير من التأمل، وهذه الطريقة السديدة

في المعجزات عين الحكمة، فلا يحسن العدول عنها إلى غيرها...))(٣٥).

وقد أشار القاضي عياض رحمه الله إلى وجوه الإعجاز قائلاً:((ومن وجوه إعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال:((إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون))(الحجر: ٩)،وقال:((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد)) (فصلت:٤٢)،وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلّا خبرها))(٣٦).

لهذه العلاقة الوثيقة بين القرآن العظيم واللغة العربية فإنّه يفترض أن يكون له أثر كبير فيها، ودور عظيم في حفظها، ويمكننا ذكر أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار، ودوره في الحفاظ عليها فيما يأتي(٣٧):

أولاً: المحافظة على اللغة العربية من الضياع:

إنّ أثر القرآن الكريم على اللغة العربية كان بالغاً من حيث المضمون والشكل، فنصوص القرآن نصوص مقدسة وسرمدية إلى قيام الساعة، فببقاء النصوص القرآنية بقيت اللغة العربية حية نابضة فعالة إلى يومنا هذا. وقد أشار الدكتور يوسف الشربجي إلى بعض الأسرار وراء خلود اللغة العربية قائلاً:((إنّ السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإِحَنَ والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء...فلمّا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لاجرم أنّ المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإنّ بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأنّ الدفاع عنه – لكونه أصل الدين ومستقى العقيدة - يستتبع الدفاع عنها لأنّها السبيل إلى فهمه، بل لأنّها السبيل إلى الإيمان بأنّ الإسلام دين الله، وأنّ القرآن من عند الله لا من وضع أحد...،ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة عالمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنّا ببعيدة فقد كانت لغة وحضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين، وعلى العكس من ذلك فإنّ اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنّما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إنّ العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحيوية والنشاط، وما ذلك إلّا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت فيها واندثرت...))(٣٨).

ثانياً: تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال:

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط الأنظار جميعاً، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي:((نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معًا، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنّما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلّا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنّما كان ذلك؛ لأنّه صفّى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصوّرها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب

الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنّه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنّها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم))(٣٩).

هذا ما عبر به إمام العربية مصطفى صادق الرافعي، وليس هو فحسب، بل اعترف أعداء العربية من المستشرقين وغيرهم بقوة اللغة العربية وحيويتها وسرعة انتشارها، فيقول أرنست رينان:((من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمّة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى...))(٤٠).

ويقول جورج سارنوت:((ولغة القرآن على اعتبار أنّها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة،وقد وهبها الرسول(صلى الله عليه وسلم)مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد))(٤١).

ويقول بروكلمان:((بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأنّ اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية))(٤٢).

ومِمّا لا شكّ فيه أنّ اعتراف أمثال هؤلاء، لا يقوي من وضع اللغة العربية أو يأخذ بيدها إلى الرفعة، وإنما ذكرنا أقوالهم لنبين أنّ الفضل ما شهدت به الأعداء.

ثالثاً: توحيد لهجات اللغة العربية:

من المعلوم أنّ لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجاتها حتى إنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولاشكّ أنّ لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد الخليفة عثمان(رضي الله عنه)قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للّجنة الرباعية التي شكّلها لكتابة ونسخ المصحف الشريف: ((إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنّه إنّما نزل بلغتهم))،وما ذلك إلّا لأنّ لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظرًا لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولغتهم أسهل اللغات، ينقل السيوطي عن الواسطي قوله:((لأنّ كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أنّ ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسنًا، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم:((إنّ له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه))(٤٣)،ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعًا للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مرِّ العصور وكرِّ الدهور))(٤٤).

رابعاً: تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية:

من المعروف أنّ اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل

نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن يذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلّا لتعود إليها.

وقد ظلوا كذلك حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومِمّا لاشكّ فيه أنّ أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة(٤٥).

يقول الأستاذ الدكتور نور الدين عتر:((وقد اتسع انتشار اللغة العربية جدًا حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم))(٤٦).

وخلاصة القول كما يقول الباقوري:((إنّ اللغة العربية ما كانت تطمع في أن يتعدى سلطانها جزيرتها، فتضرب الذلة على لغات نمت في أحضان الحضارة وترعرعت بين سمع المدينة وبصرها، وتستأثر دونها بالمكان الأسمى في ممالك ما كان العربي يحلم بها، فضلاً عن أن يكون السيد المتصرف فيها، ولكن القرآن الكريم انتزعها من أحضان الصحراء، وأتاح لها ملكًا فسيح الأرجاء، تأخذ منه لألفاظها ومعانيها، وأغراضها وأسلوبها، ما لم تمكنها منه حياته البدوية، فبعد أن كانت ثروتها في حدود بيئتها، أصبحت غنية في كل فنون الحياة فأقبل الناس عليها مدفوعين إلى معرفة أحكام الدين، وأداء واجبات الإسلام))(٤٧).

خامساً: تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة:

من الثابت المعروف أنّ العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أنّ التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لما ذُهِبَ بهم إلى الصحراء لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأنّ الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنّه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي.

ولّما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مِمّا اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان(رضي الله عنه):((يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى...))(٤٨)،فأمر الخليفة عثمان(رضي الله عنه) بجمع القرآن، وكان قصده أن يجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي(صلى الله عليه وسلم)، وإلغاء ما ليس بقرآن خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد(٤٩)، وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفزع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظًا على قراءة القرآن من اللحن والخطأ.

وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنّه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، في حين أنّ اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها، يقول الدكتور نورالدين عتر:((والسر في ذلك أنّ رسم القرآن جعل أصلاً للكتابة العربية، ثم تطورت قواعد إملاء العربية بما يتناسب مع مزيد الضبط وتقريب رسم الكلمة من نطقها، فكان للقرآن الكريم الفضل في حفظ رسم الكلمة عن الانفصام عن رسم القدماء))(٥٠).

سادساً: تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة:

إنّ لغة أية أمة هي صورة صادقة لذوقها العام وطبيعتها، وإذا كان للبقاع تأثير في الطباع، فمما لا ريب فيه أنّ اللغة تتأثر كذلك حسب الناطقين بها، والعرب أمة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلّا القليل، فلا جرم كان في لغتهم الخشن الجاف، والحوشي الغريب.

والقرآن الكريم –فضلا عن أنه نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة ونعومتها، فنزلوا عن حوشيتهم، وتوخوا العذوبة في ألفاظهم، –قد تخير لألفاظه أجمل ما تخف به نطقًا في الألسن، وقرعًا للأسماع، حتى

كأنّها الماء سلاسة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم وحير ألبابهم، وأفهمهم أنّ البلاغة شيء وراء التنقيب والتقعير، وتخير ما يكد الألسن ويرهقها من الألفاظ، فعكفوا عليه يتدبرونه، وجروا إليه يستمعونه ذلك أنّ القرآن الكريم قد انتهج في تعابيره أسلوباً له حلاوة، وعليه طلاوة، تنتقى فيه الكلمة انتقاء، حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللغة العربية بمثابة اللباب وغيرها كالقشور، ممّا جعل ابن خالويه يقول:((أجمع الناس أنّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أصح مِمّا في غيره))(٥١)،ولا أدلّ على ذلك من الموازنة بين الشعر الجاهلي والإسلامي، أو الأدب الجاهلي والإسلامي، فسنجد البون شاسعًا، والفارق كبيراً، ذلك أنّ القرآن الكريم بفصاحته وروعة ألفاظه قد أغرى العرب على محاكاته، فأقبلوا إليه يزفون، ومن بحره ورياضه يستقون وينهلون، ومن ألفاظ ومعانيه يقتبسون ويتكلمون، فوضعوا بذلك قواعد علوم البلاغة، بغاية الروعة وقمة البراعة، متكئين فيها على ما في القرآن الكريم من أوجه الإعجاز، ناسجين منه أجمل حلة وأحلى طراز، ولهذا نجد أبا الهلال العسكري يقول:((وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما اختصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز عنها، وتحيرت عقولهم فيها))(٥٢).

وقد أشار الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر في هذا الصدد إلى بعض الآثار القرآنية الأخرى على اللغة العربية، نرى من الفائدة ذكرها باختصار، إذ قال(٥٣):

١ـــ استنقذ القرآن المجيد العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة، فعمل على تقارب اللهجات وائتلاف ألسنة أهلها بالنطق بأفصح لهجات العربية.

٢ـــ هذب القرآن اللغة العربية من الحوشي والغريب فأحالها إلى لغة صافية شفافة جذابة.

٣ـــ أدخل القرآن الكريم على العرب معانٍ جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون التعبير عنها، فهناك ألفاظ ابتدأها القرآن الكريم ابتداء كالإسلام والإيمان والفرقان والشرك والكفر والنفاق والصوم والصلاة والزكاة...، وهناك المضامين الحسية الشيقة الخالدة، مثل لفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض، واشتقاق الأدلة العقلية الملزمة مثل البراهين الدالة على وحدانية الله وعظمته و قدرته ووجوب عبادته وحده لا شريك له...، فالقرآن العظيم نزل في مائة و أربع عشرة سورة أنزلها علام الغيوب بياناً فريداً بديعاً معجزاً في عباراته ومعانيه، وشكله ومحتواه على حد سواء.

٤ـــ اعتاد العرب على مواسم وأسواق كانوا يقيمونها في مواطن من جزيرتهم...،حتى صار كل سوق مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً له مُحَكِّمونَ تضرب لهم القباب...،وكثيراً ما تنشب بين فرسان البيان منافسات حامية الوطيس ينقسم فيها أهل الأدب إلى جهات متخاصمة...،وتتشابك فيها الحجج والدلائل...،من دون أن يقدم التحكيم فيها قولاً حاسماً يفض المنازعات البلاغية إذ كانوا يعتمدون على الذوق والفطرة السليمة، ولم يكونوا مجمعين على نموذج أدبي أعلى يتخذون مقياساً في تمييز الأفصح والأبلغ، وبالتالي لم تكن لديهم قواعد وضوابط بيانية يجديهم الرجوع إليها فتيلاً فكانوا يذهبون في ذلك مذاهب شتى...،فهل لهذا التفرق من تلاق !؟ فلما جاءهم القرآن بسلسبيل بيانه وعقدت الدهشة ألسنتهم من تفوق بلاغته وجلالة مكانته؛ خضعت له أعناقهم واذعنت أذواقهم، وأيقنوا أنّه لا سبيل إلى مجاراته...،فانقادت إليه ملكاتهم و سجاياهم وسارعوا ينهلون من بحر بيانه...،وأقبلوا على دراسة ملامح الجمال الأدبي...،حتى استخلصوا منه قواعد البلاغة والفصاحة، فكان القرآن لهم المثل النموذجي الأسمى، والمقياس المثالي الذي أجمعت القلوب والأذواق على الركون إليه والاحتكام إلى بيانه.

٥ـــ لا تزال آثار القرآن البليغة تترى في ألوان الأدب العربي؛ شعراً ورجزاً وحكمة وخطابة ونثراً. إذ ظهرت فيها جميعاً تعابير وصور، بعضها مقتبس من القرآن وبعضها يصطبغ بصبغته وينسج على منواله. أمّا الموضوعات فبعضها جديد بالكلية كالتصوف والزهد، وبعضها دخله

التجديد والقوة والحيوية كالحماسة، لكن جميع الموضوعات تأثرت بالقرآن تأثراً بيناً لا مراء فيه، إذ ظهرت فيها قيم جديدة كثيرة روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية مستقاة من القرآن بحرص مرهف وتقديس ظاهر.

٦ــ سيطر القرآن على الملكات الأدبية واجتذب اهتمامها وعنايتها...،فلاجرم أنّ الفضل في نشوء علوم اللغة ونموها وازدهارها عائد إلى القرآن المجيد ذاته. فالقرآن هو الحاكم المهيمن على هذه العلوم، والكلمة منه حجة لها أو عليها و ليس لها من سبيل عليه وهذا أمر جلي واضح. ومن عجب أن يتوهم بعضهم غير ذلك، فيتشدقون مفتعلين إشكالات بين نصوص القرآن العظيم وقواعد اللغة العربية !! وذلك لأنّهم غفلوا أن ليس عليه من سلطان وأنّه هو المهيمن عليها الحاكم فيها! فالشاهد القرآني هو الحكم الفصل بين مختلف الآراء في كافة علوم اللغة...،وتوالت التصانيف بعدئذ من(نظم القرآن) للجاحظ، و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني وغير ذلك كثير.

النتائج والتوصيات

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكرها على النحو الآتي:

١ــ كان لنزول القرآن الكريم بلسان عربِّي مبين أثرٌ في نهضة اللغة العربية وحِفظِها، تمثل في انتشار اللغة العربية، وانتشار الداعين إلى الله مبشرين بدينه، حاملين كتابه بلسان عربيٍّ مبين، والقضاء على كل اللغات، وأصبحت اللغة العربية لغة عامة رسمية في شتى البلاد والممالك التي فتحها المسلمون، فكان دينها الإسلام، ولغتها القرآن.

٢ــ اتفق العلماء على أن القرآن هو المثل الأعلى لكل بيان، وبمقدار القرب من أسلوبه ولهجته، بمقدار ما يكون الكلام بليغاًومشرقاً.

٣ــ كان لنزول القرآن أثرٌ في تهذيب الألفاظ وسُمُوِّهَا، بأنْ هُجِرَت الألفاظ الوحشية، والتراكيب المستغرَبة التي ينفر منها الذوق السليم. وعلى عكس ذلك فقد استحدث القرآن في اللغة مدلولات جديدة للألفاظ لم تكن معروفة وموجودة عند العرب، أَثْرَتِ اللغة العربية بالمعاني، فأصبح لكثيرٍ من الألفاظ معانٍ شرعية خاصة، كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، وكألفاظ المؤمن، والمسلم، والكافر، والفاسق، والمنافق.

٤ــ لقد ساهم القرآن الكريم في تعزيز اللغة الأدبية، وتوحيد اللهجات العربية المختلفة في إطار لغوي موحد، بحيث باتت هناك لغة واحدة هي لغة العرب جميعاً، فذابت تلك الفوارق، واستقامت لهم لغة واضحة واحدة هي اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وبذلك وقى اللغة العربية من الاندثار، فلولا القرآن الكريم لأصبحت اللغة العربية معرضةً لخطر التفكك التام، وفَسْح المجال واسعاً لتغلب العامية، وإطلاق العَنانِ للَّهجات المحلية.

٥ــ أصبح القرآن الكريم سداً منيعاً لدخول الكلمات الأعجمية التي تُضعِف هذه اللغة أو توهن قوتها، أوتفكك كيانها.

٦ــ حافظ القرآن الكريم على اللغة العربية سليمة نقية، مستمرة مع الزمن، وعلى كلماتها وتعابيرها ومعانيها وتراكيبها ومفاهيمها، وعلى لهجاتها وبلاغتها وعاطفتها وتأثيرها وسموها واستمرارها.

ـ التوصيات:

١ــ التركيز على مرحلة الطفولة في تعليم القرآن واللغة، لما لدى الطفل في هذه المرحلة من قدرة على الحفظ، وقدرة على اكتساب اللغة. وتقويم لسان الطفل أسهل من تقويم الكبير الذي اعتاد لسانه الخطأ، مع ربط المنهج المقرر في القراءة والكتابة في المرحلة الابتدائية بعلوم القرآن الكريم.

٢ــ الإكثار من الكتاتيب العصرية التي تحفظ القرآن الكريم للناشئة وترك الفرصة للمتطوعين والخواص من أصحاب الشهادات العليا ليقوموا بذلك.

٣ــ الحث على حفظ القرآن الكريم، وتشجيع أهله، والتوسع في إنشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم الحكومية والأهلية، ودعم الجمعيات والمدارس الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

هوامش البحث:

(١) ينظر: اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(٢) ينظر: المدخل إلى اللغة العربية: ١٧.

(٣) ينظر: اللغة العربية لغة الإسلام: ٢٣٧.

(٤) ينظر: مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى: ٣٧ ـ ٣٨.

(٥) اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي في العصر الحديث: ٢٤.

(٦) ينظر: مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى: ٣٩.

(٧) ينظر: التربية وثقافة التكنولوجيا: ١٨٢.

(٨) اللغة العربية بين حماتها وخصومها: ٢٨.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٠) طرائق تدريس اللغة العربية: ٢٠٣.

(١١) اللغة العربية بين حماتها وخصومها: ٢٨.

(١٢) ينظر: عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم: ٥ ـ ٢١.

(١٣) ينظر: تحديات اللغة العربية ومشاكلها في عصر العولمة: ٥.

(١٤) الكليات: ٧٢١.

(١٥) ينظر: الاقتراح: ٩٦، وفصول في فقه العربية: ٩٧.

(١٦) الشاهد وأُصول النحو في كتاب سيبويه: ٣١.

(١٧) معاني القرآن: ١/ ١٤.

(١٨) الشواهد والاستشهاد في النحو: ٢٠١–٢٠٢.

(١٩) مفاتيح الغيب: ٩/ ٥٥، ١٤٧/٥.

(٢٠) المدخل لدراسة النحو العربي: ٩٧.

(٢١) ينظر: من وحي القرآن: ٨٦.

(٢٢) رحلة في المعجم التأريخي: ٢٨٩.

(٢٣) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٤.

(٢٤) التفسير الأدبي والإعجاز: ٤٩.

(٢٥) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٣٩.

(٢٦) ينظر الإعجاز القرآني: ١١٨.

(٢٧) المسند (أحمد بن حنبل): ٩١/١.

(٢٨) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٨.

(٢٩) ينظر: التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها: ٣١٣.

(٣٠) فقه اللغة وسرّ العربية الثعالبي: ١.

(٣١) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة:٤٠.

(٣٢) ينظر: علوم القرآن: ١٣–٢٧.

(٣٣) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: ٣٣.

(٣٤) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة: ١٢٢.

(٣٥) المعجزة الخالدة: ١١٠.

(٣٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢٣٢.

(٣٧) ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة: ١٢١ـ١٢٧، وفضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها: ١٣ـــ٢٠.

(٣٨) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة: ١٢١.

(٣٩) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٧٤.

(٤٠) اللغة العربية بين حماتها وخصومها: ٢٥.

(٤١) لغة القرآن الكريم: ٥٨٥.

(٤٢) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٣.

(٤٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ١٥٠.

(٤٤) المزهر: ١/ ١٢٩.

(٤٥) ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة: ٩٠ـ٩١.

(٤٦) القرآن الكريم والدراسات الأدبية: ٣٥٩.

(٤٧) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: ٤٩.

(٤٨) صحيح البخاري: ٦/ ١٨٣ـ١٨٤.

(٤٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٣٦.

(٥٠) القرآن الكريم والدراسات الأدبية: ٣٦١.

(٥١) المزهر: ١/ ١٢٩.

(٥٢) الصناعتين: ٢.

(٥٣) ينظر: المعجزة الخالدة: ٣٧٢ـ ٣٨٢.

المصادر والمراجع

١ـ أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: الأستاذ أحمد حسن الباقوري، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

٢ـ أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة: محمد يوسف الشربجي، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٩٠ - السنة الثالثة والعشرون - حزيران "يونيو" ٢٠٠٣ - ربيع الآخر ١٤٢٤هـ.

٣ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي/ الطبعة الرابعة/ مطبعة الاستقامة ١٩٤٠.

٤ـ الإعجاز القرآني:

٥ـ الاقتراح في علم أصول النحو: للأمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ـ البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- مصر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٧ـ تاريخ آداب العرب: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ـــ لبنان.

٨ـ تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. رمضان عبد التواب، راجع الترجمة: د. السيد يعقوب بكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة- مصر، د.ت.

٩ـ التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها: بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، في المدة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، إعداد: د. رياض محمود قاسم، وأ. عبدالحميد الفراني أبريل/

.٢٠٠٧

١٠ـــ تحديات اللغة العربي ومشكلاتها في عصر العولمة: د. مهين حاجي زادة، ود. شهريار نيازي، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية.

١١ـــ التربية وثقافة التكنولوجيا: أحمد علي مدكور، القاهرة ـ مصر .

١٢ـــ التفسير الأدبي والإعجاز:

١٣ـــ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (ت٧٧٤م)، طبعة مطبعة دار الشعب، القاهرة ـــ مصر.

١٤ـــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٤هـ)، قدم له: هاني الحاج، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، د.ت.

١٥ـــ رحلة في المعجم التأريخي: د. إبراهيم السامرائي، ط١، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٩٩٩م.

١٦ـــ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، المطبعة العثمانية، القاهرة ـــ مصر، ١٣١٢ه.

١٧ـــ الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤هـ ـــ ١٩٧٤م.

١٨ـــ الشواهد والاستشهاد في النحو: د. عبد الجبار علوان النايلة، ط١، مطبعة الزهراء، بغداد- العراق، ١٣٩٦ه ـــ ١٩٧٦م.

١٩ـــ صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض- السعودية، د.ت.

٢٠ـــ الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـــ مصر.

٢١ـــ طرائق تدريس اللغة العربية: السيد محمود ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٨م.

٢٢ـــ عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم: د. عبد الكريم خليفة، مجمع اللغة العربية، دمشق ـ سوريا، ٢٠٠٣م .

٢٣ـــ علوم القرآن: عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان.

٢٤ـــ الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٥ـــ فصول في فقه العربية: د. رمضان عبد التواب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٢٦ـــ فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها: بقلم الدكتور خير الدين خوجة الكوسوفي، أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر.

٢٧ـــ فقه اللغة وسرّ العربية: الثعالبي، ط. القاهرة، ١٩٣٨م

٢٨ـــ القرآن الكريم والدراسات الأدبية: الدكتور حسن ضياء الدين عتر، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٩٢م.

٢٩ـــ اللغة العربية بين حماتها وخصومها: أنور جندي، مطبعة الرسالة، القاهرة ـ مصر.

٣٠ـــ اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية: محمد بن سعيد العرفي، مقال مقدم ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية(٢٧) المنشورة في كتاب(اللغة العربية: آراء ومناقشات)،تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة (٢٠٠٤م).

٣١ـــ اللغة العربية لغة الإسلام: يحيى بن عبد الله العليمي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ع ٨٨،(محرم ١٤٢١هـ ـ مايو ٢٠٠٠م).

٣٢ـــ اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي في العصر الحديث: عبد الكريم خليفة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ع٨٨(محرم ١٤٢١هـ ـ مايو ٢٠٠٠م).

٣٣ـــ اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة: كارم السيد غنيم، مكتبة الساعي، الرياض، ١٩٩٠م.

٣٤ـــ لغة القرآن الكريم: الدكتور عبدالجليل عبدالرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ـــ الأردن، ١٩٨١م.

٣٥ـــ المدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية: د. عبد المجيد عابدين، ط١، مطبعة الشكشي بالأزهر، القاهرة – مصر، ١٩٥١م.

٣٦ـــ المدخل إلى اللغة العربية: بدر الدين أبو صالح، ط ٢، دار الشرق العربي، سوريا ـ لبنان.

٣٧ـــ مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى في المدارس الابتدائية بمحافظة القنفذة من وجهة نظر معلمي المرحلة الابتدائية: يحيى بن عبد الله

الزبيدي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ ـ ١٤٢٢هـ .

٣٨ـــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، شرح وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٩ـــ المسند (أحمد بن حنبل) : لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، المشرف على إصدار هذه الموسوعة د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، المشرف على تحقيق هذا المسند: الشيخ شعيب الأرنؤوط، شارك في تحقيق هذا المسند مجموعة من الأساتذة، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٤٠ـــ معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ومراجعة: علي النجدي ناصف، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

٤١ـــ موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: الدكتورة خديجة الحديثي، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ـــ العراق، ١٩٨١م.

٤٢ـــ المعجزة الخالدة: الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ط٤، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م. .

٤٣ـــ من وحي القرآن: الدكتور إبراهيم السامرائي، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ١٩٨١م.